 DOI: http://dx.doi.org/10.18860/el.v21i1.6583

قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم (بين المجيزين والمانعين)

QADHAYA AL-I'JAZ AL-'ILMI WA AT-TAFSIR AL-'ILMI LI AL-QUR'AN AL-KARIM

Hamza Hassan Sulaiman
University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences
Email: abohosam699@gmail.com

الملخص:

يحاول الباحث في هذا البحث عقد مقارنة علمية حول قضايا علمية تتعلق بكتاب الله تعالى متمثلة في إعجازه العلمي ومحاولة التفسير العلمي للآيات بين من يجيز الحديث والتفسير العلمي للآيات القرآنية والمعجزات المحتوية عليها. وأن إثباتها للبشرية هو نوع متقدم ومتطور من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وبيان حقيقة صحة نسبته لله تعالى. وبين من يرى أن هذا الاتجاه نوع من أنواع التهجم على رسالة القرآن الكريم ذات الطبيعة الخاصة بهداية البشر. وأن الحديث عن إعجاز القرآن الكريم وربطه بالنظريات والحقائق العلمية الحديثة هو تأويل فاسد للقرآن الكريم والحيد به عن أهدافه الأساسية التي نزل بها والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴾ الآية الإسراء: ٩

Abstract

This research attempts to make scientific comparisons on scientific issues related to the book of God represented in his scientific miracle and to interpret scientific verses between those who permit the scientific interpretation and interpretation of Quranic verses and the miracles that contain them. Its proof of humanity is

a developed and advanced type of methods of calling to God, and to show the truth of his health to God Almighty. Among those who believe that this trend is a kind of attack on the message of the Holy Quran of the nature of human guidance. And that the talk about the miracle of the Holy Quran and linking it to theories and modern scientific facts is a corrupt interpretation of the Holy Quran and neutralize it from the basic goals that came down, which is the saying: (This Koran guides to which I do ... verse).

Keywords: *miracles; interpretation; scientific research.*

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن ختاماً لكتبه ورسالاته إلى البشر أجمعين، وأودع فيه من الأسرار مالا ينقضي وما لا ينتهي إلى يوم القيامة، الحمد لله الذي جعل القرآن معجزة خالدة لخاتم الأنبياء والرسل، معجزة عقلية ذهنية علمية، معجزة اكتملت فيها كافة جوانب الإعجاز: في اللغة، في البيان، في الإخبار بما فات، وما يجري وما هو آت، معجزة احتوت من الأمور العلمية والمسائل الكونية والقواعد السياسية والأسس والكليات الاقتصادية والتفصيلات الاجتماعية والحقوق الإنسانية والنظم البشرية ما لا يستطيع أي مخلوق أن يأتي بمثله على مر الزمان، وسيظل القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وبرهانه الباقي، مذ نزل بين أناس فصحاء وعلى قوم بلغاء، ولطالما يتلى بين باحثين وعلماء.

المبحث الأول: تعريفات ومعان:

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي

لما كانت جملة التفسير العلمي مركب إضافي من كلمتين: (تفسير) و(علمي)؛ فيقتضي العمل بمنهج البحث العلمي تعريف كل مفردة من هذا المركب الإضافي، ومن ثم تعريف المركب الإضافي.

أولاً: تعريف التفسير لغة

فمما قيل في تعريف التفسير في اللغة؛ أنه يأتي بمعنى التوضيح والبيان؛ كما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس بقوله: «الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه (ابن فارس، ١٤٢٠هـ، ٤ :٥٠٤) وقيل: «هو مصدر فسّر بتشديد السين، والفسر: الإبانة وكشف المغطى، والتفسير مثله، وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل» (الفيروز

آبادي، ٢٠٠٥م،٤١١ وابن منظور، ١٤١٤هـ، ٥: ٣٤٢١). ويراد منه الإيضاح والتبيين، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣٣، أي أحسن بياناً وتفصيلاً (القرطبي، ١٩٦٤م،١٣: ٢٩).

ثانياً: تعريف التفسير في الاصطلاح

قالوا في التعريف الاصطلاحي للتفسير بأنه: «علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ» (الزركشي، ١٩٥٧م، ١ :١٣).

ثالثاً: تعريف العلم في اللغة

وقد وصف التفسير هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم. وعرف صاحب المصباح المنير العلم بقوله: «العلم: اليقين يقال علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً، كما جاءت بمعناه ضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل؛ لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل، وفي التنزيل: ﴿ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ المائدة: ٨٣، أي علموا. وقال تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠؛ أي لا تعرفونهم الله يعرفهم، وقال زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عمي» (الفيومي، د.ت، ٢: ٤٢٧).

وعند الخليل بن أحمد: العلم هو نقيض الجهل، قال في كتابه العين: «علم: علم يعلم علماً، نقيض جهل» (الفراهيدي، د.ت، ٢: ١٥٢).

رابعاً: تعريف العلم اصطلاحاً

جاء تعريف العلم في تاج العروس بأنه: «الاعْتِقادُ الجازِمُ الثَّابِتُ المُطابِقُ للواقِعِ، أَو هُوَ صِفَةٌ توجِبُ تَمْييزًا لا يحتَمِلُ النَّقيضَ، أَو هُوَ حُصولُ صُورَةِ الشَّيءِ فِي العَقْلِ، والأولُ أَخَصُّ» (أبو الفيض، د.ت، ٣٣ :١٢٧).

وعرفه الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله: العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل:

هو مستغنٍ عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقيل: عبارة عن صفةٍ ذات صفة (الجرجاني، ١٩٨٣م، ١٥٥، وأبو البقاء، د.ت، ٦١٠). وفي الموسوعة القرآنية المتخصصة: «والأصل في معنى العلم عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء» (الموسوعة القرآنية، ٢٠٠٢م، ٦٩٢).

ويُقصد بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي، وما يتعلق به من علوم الطبيعة الموجودة في الكون، مثل: الفيزياء، والكيمياء، وطبقات الأرض، وعلم الإحياء، وعلم البحار، وعلم الفلك، وغيرها.

خامساً: تعريف مصطلح التفسير العلمي

إن مصطلح التفسير العلمي للقرآن الكريم من المصطلحات الحديثة في الأوساط العلمية، وهو يشير إلى تأويل بعض الآيات القرآنية أو تفسيرها بما يتفق وبعض النظريات العلمية أو الاكتشافات الحديثة، ولذلك اختلفت وجهات أنظار العلماء وأبناء المسلمين فيه.

قالوا في تعريف التفسير العلمي: هو الكشف عن تفاصيل معاني الآية في ضوء ما ثبتت صحته من نظريات العلوم الكونية التجريبية.

وقال الذهبي في التفسير والمفسرون: «نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها» (الذهبي، د. ت، ٢:٣٤٩).

وجاء تعريفه في المقدمات الأساسية في علوم القرآن: "التّفسير العلميّ: والمراد به تفسير الآيات الّتي تتحدّث عن الكون وخلق الإنسان ونحو ذلك، بما توصّل إليه العلم الحديث من اكتشاف واطّلاع على حقائق لم يهتد إليها عموم النّاس من قبل" (الجديع، ٢٠٠١ م، د. ت، ٣٩٠).

وفي مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، قال: "يعد التفسير العلمي أحد فروع أو ألوان التفسير المعاصر. ويراد به: الاستناد إلى حقائق العلم التجريبي- ونظرياته- في شرح آيات الطبيعة والإنسان-آدم وبنيه- والتي وردت في القرآن الكريم في سياقات شتى، ومواضع متعددة" (الجديع، ٢٠٠١ م، د. ت، ٣٩٠).

وهذا فهد الرومي يعرف التفسير العلمي بقوله: "يراد بالتفسير العلمي: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما

بوجه من الوجوه؛ وهذا تعريفه بما هو عليه، أما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه فهو: كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي" (الرومي، ٢٠٠٣م، ٢٩٠).

والفرق بينهما أن في الأول خلطًا بين النظريات والحقائق بحيث نجد كثيرًا من المفسرين يفسرون القرآن بهما من غير تحقيق، وما ينبغي أن يكون هو التمييز بين النظريات والحقائق والاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معاني الإعجاز العلمي

وبما أن جملة الإعجاز العلمي جملة مركبة من كلمتين: (إعجاز) و(علمي) فيقتضي المنهج العلمي تعريف كل مفردة من الجملة، ومن ثم تعريف الجملة كاملة.

أولاً: معنى الإعجاز لغة

جاء تعريف الإعجاز في كتاب العين بقوله: «عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجز نقيض الحزم. وعجز يعجز عجزاً فهو عاجز ضعيف. قال الأعشى:

فذاك ولم يعجز من الموت ربه» (العين، مصدر سابق،١: ٢١٥).

وقال ابن منظور: «العجز: نقيض الحزم؛ والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز» (مسلم، د. ت، ٤: ٢٠٤٥)، وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف)، فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وَمِنْهُ قَوْلُ الأَعشى:

فَذاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الموتِ رَبَّه * وَلَكِنْ أَتاه الموتُ لا يَتَأَبَّقُ

وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك (وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه» (ابن منظور، ٥: ٣٧٠).

ثانياً: تعريف الإعجاز اصطلاحاً

في تعريفه للإعجاز يقول مناع القطان في كتابه: مباحث في علوم القرآن: « الإعجاز: إثبات العجز. والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي – صلى الله عليه وسلم– في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي

القرآن- وعجز الأجيال بعدهم، والمعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة» (القطان، ٢٠٠٠م، ٢٦٥).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: «إعجاز القرآن: عدم القدرة على محاكاته وامتناع الإتيان بمثله» (عمر، ٢٠٠٨م، ٢: ١٤٥٩).

وذكر البوطي في معرض حديثه عن الإعجاز قوله: "أجمع عامّة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والفرق المختلفة أن القرآن معجز. فما معنى أنه معجز؟ لدينا في الجواب على هذا السؤال تعريفان للإعجاز، أحدهما هو المعتمد لدى جمهور العلماء والباحثين، والثاني تفرد به أبو إسحاق إبراهيم النظام (ت: ٢٣١) اللغوي والمعتزلي المعروف، ثم تبعه في ذلك بعض الناس من فرقته وجماعته.

فأما التعريف الأول، فهو أن القرآن قد سما في علوّه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله؛ سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغيباته.

وأما التعريف الثاني فهو أن الله قد صرف قدرات عباده وسلب همّتهم وحبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله. والفرق بين التعريفين، أن مصدر الإعجاز في التعريف الأول علوّ منزلة القرآن عن مستوى الطوق البشري، أما مصدره في التعريف الثاني فهو حبس القدرات وصرف الهمم عن معارضته وتقليده، أي فهو قد يكون، والحالة هذه، غير بعيد في منزلته البلاغية عن طاقة البشر، ولكن الله، تصديقا لنبيّه ولطفا به، صرف الناس عن تقليده ومحاكاته" (البوطي، د. ت، ١٢٥).

ويستحسن في هذا المقام–حيث يأتي فيه الرد على القائلين بالصرفة –الاستشهاد بالحديث الطيب لمالك بن نبي وهو يتحدث عن الإعجاز من خلال الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ فصلت: ٤٤؛ حيث يقول: «ولا مانع إذن من أن نعيد النظر في معنى (الإعجاز) في ضوء منطق الآية الكريمة. وحاصل هذا أننا إذا عددنا الأشياء في حدود الحدث المتكرر، أي في حدود الظاهرة، فالإعجاز هو:

١ – بالنسبة إلى شخص الرسول: الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها.

٢ – وهو بالنسبة إلى الدين: وسيلة من وسائل تبليغه.

وهذان المعنيان للإعجاز يضفيان على مفهومه صفات معينة:

أولاً: أن الإعجاز- بوصفه (حجة) لابد أن يكون في مستوى إدراك الجميع، وإلا فاتت فائدته، إذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق إدراك الخصم، فهو ينكرها عن حسن نية أحياناً» (ابن نبي، د. ت، ٦٤).

ونطالع تعريف آخر للإعجاز في الاصطلاح في كتاب دراسات في علوم القرآن؛ الذي يقول: «هو عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث» (الرومي- مرجع سابق، ٢٦٣).

ثالثاً: تعريف مصطلح الإعجاز العلمي

في تعريفها للإعجاز العلمي تقول الأمانة العامة لهيئة الإعجاز العلمي في كتاب الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً: «الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى» (الطيار، ١٤٣٣هـ، ١٦٨).

ويقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار: «إن تعبير الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يُقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزُّل القرآن الكريم ...» (الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور زغلول النجار على الشبكة العنكبوتية).

ومن ضمن التوصيات الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ نجد تعريف الإعجاز العلمي بالآتي: "أما الإعجاز العلمي فهو: يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسولﷺ" (انظر: المعجزة العلمية،١٨:٣٣، "توصيات المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

ويعرف الدكتور الزنداني الإعجاز العلمي بقوله: "... فإن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة هو إخبارهما بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما بلّغ عن رب العزة سبحانه وتعالى" (الزنداني، العدد الأول صفر ١٤١٦هـ- يوليو ١٩٩٥م).

المطلب الثالث: التوافق والتباين بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

من خلال التعريف السابق لمعنى التفسير العلمي والإعجاز العلمي؛ نستمع للزرقاني وهو يذكر الفرق بينهما فيقول: «إن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها،

أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ» (الزرقاني، ١:٢٦ -٢٧).

وقريب مما ذكره الزرقاني في التفريق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي؛ جاء في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: «والفرقُ بين التفسيرِ العلميِّ والإعجازِ العلميِّ، هو أنّ التفسيرَ العلميَّ كشفٌ عن معانِي الآيةِ أو الحديثِ، في ضوءِ ما ترجَّحَتْ صحّتُه مِن حقائقِ العلومِ الكونيةِ. أما الإعجازُ العلميُّ فهو إخبارُ القرآنِ الكريم، أو السنّةِ النبويةِ بحقيقةٍ أثبتَهَا العلمُ التجريبيُّ أخيراً، وثبتَ عدمُ إمكانيةِ إدراكِها بالوَسائلِ البشريةِ، في زمنِ الرسولِ ﷺ»(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،١: ١٤).

وهذا الرأي ذهب إليه الدكتور عبد المجيد الزنداني عندما تحدث في التفريق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

وهذا الأستاذ الدكتور زغلول النجار يفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فيقول: "إن التفسير العلمي للقرآن الكريم يقصد به أن يوظف أهل كل جيل كل المعارف المتاحة لهم في حسن فهم دلالة القرآن الكريم؛ أما بالنسبة للإعجاز العلمي، فلا يجوز لنا أن نوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة، لأن الإعجاز نريد به أن نثبت للناس مسلمين وغير مسلمين أن هذا القرآن العظيم الذي نزل على نبي أمي في أمة أمية قبل ١٤٠٠ سنة يحتوي من حقائق هذا الكون على ما لم يستطع الإنسان أن يتوصل إلى معرفته إلا بعد جهود مضنية وقبل عشرات السنين فقط" (مجلة العلميون، يونيو، ١٩٩٧، ٤٨).

ويناقش محمد جبريل هذا القول في كتابه عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ فيقول: "وإذا كنا سنوافق هذا العالم الجليل على قوله، فلا بد من تحوُّط نسوقه بين يدي هذه الموافقة، وهو: أن المفسر للقرآن على هذا النحو، بل وكل مفسر ينبغي أن يصوغ عبارته بطريقة تفهم بأن ما قاله إنما هو فهمه من الآيات، الذي استطاع أن يتوصل إليه بعد أخذه بأدوات التفسير التي تؤهله لذلك، فلا يقطع بأن ما فهمه من الآية هو مراد الله تعالى منها" (جبريل، د. ت، ٦١).

المبحث الثاني: موقف العلماء من قضية الإعجاز العلمي والتفسير العلمي

بعد ثورة المكتشفات العلمية في الغرب في جو معاد للدين منفلت منه، وما أوحت به هذه الحال إلى بعض أبناء المسلمين من أن دينهم هو سبب تخلفهم انتدب طائفة من العلماء لإبطال هذا الأمر المزيف، والتأكيد على أن الإسلام دين العلم ومن ذلك العلم التجريبي،

وفي سبيل إثبات ذلك تكلموا في التفسير العلمي للقرآن، وأن كثيراً من المكتشفات العلمية الحديثة مضمنة في الكتاب والسنة.

واعتبروا ذلك فتحاً جديداً يساهم في خدمة تفسير القرآن، ودليلاً من أدلة إعجاز القرآن الكريم يخدم نشر الدعوة الإسلامية. وقابلتهم طائفة أخرى ترى أن التفسير العلمي للقرآن الكريم غير صحيح في منهجه، وضار بالدعوة الإسلامية، وينحرف بالقرآن عن غايته ويندفع به إلى مجالات لا تحمد عقباها (يراجع: الذهبي، ٢:٥٦٧، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٣٧، وولد الشيخ، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة). وبناءً على ذلك اختلفوا في التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة على قولين: قول معارض للتفسير العلمي للقرآن الكريم، وفريق آخر يرى ألا مشاحة ولا غضاضة من التفسير العلمي.

والحقيقة المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا أن الاختلاف بين الفريقين واقع في أمر التفسير العلمي للقرآن وليس الإعجاز العلمي، فالأول هو مثار البحث والمناقشة؛ وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها. وبهذا يتضح أن الجميع يقول بالإعجاز العلمي في القرآن لكن منهم من قال بجواز التفسير العلمي ومنهم من منعه. ذلكم أن المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له أيضًا كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية ثابتة.

وعن بدايات ظهور مصطلح الإعجاز العلمي ندرك أن العلماء اتفقوا على أن الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير، وعلى هذا فيكون ظهوره على وجه التقريب في أواخر القرن الخامس الهجري، واتفقوا أيضًا على أن الغزالي نفسه أكثر من استوفى بيان هذا القول إلى عهده، ومما لا شك فيه أن الغزالي لم يكن وحيدًا في الميدان يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم وما زالت المعركة قائمة لم يهدأ لها بال ولم تقعد لها قائمة وانقسموا إلى فريقين أو ثلاثة: المؤيدون للتفسير العلمي- المعارضون- المعتدلون (انظر: الرومي، ٢٩١)، التفسير معالم حياته: الخولي، ٢٠، والذهبي، ٣: ١٤٠، والصباغ، ٢٠٣، والأهدل، ١٨٥، والمحتسب، ٢٤٧، وغيرهم).

المطلب الأول: موقف المعارضين لمبدأ التفسير العلمي

ومن المعارضون للتفسير العلمي: أبو حيان الأندلسي، والشاطبي، ومحمود شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب وغيرهم (انظر: الرومي،٢٩٣). ومن أدلتهم:

الدليل الأول: أن القرآن الكريم كتاب هداية، وأن الله لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف، وإنما القرآن في تناوله لتلك الحقائق العلمية يهدف إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، وهو هداية ودلالة الخلق للإيمان بالله -عز وجل- وعبادته وحده لا شريك له (انظر: الشاطبي، ٢: ١١٢، ١٢٧، الزرقاني، ٢: ٢٧٥)، قال تعالى: ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ النمل: ١ - ٢

الدليل الثاني: أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، فإذا قلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه محتملة لهذه المعاني المستحدّثة، للزم أن من أنزل عليهم القرآن يجهلون هذه المعاني(انظر: الآيات الكونية، ١٣١).

الدليل الثالث: «أن التفسير العلمي للقرآن والسنة يعرضهما للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الآخر، وقد اعترف علماء المادة في هذا القرن: بأن العلوم المادية لا تعطى إلا علما جزئياً عن الحقائق»(خان، د. ت، ٢٣)، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية، القارة، الثابتة، المنزلة من عند الله الذي وسع علمه كل شيء.

الدليل الرابع: قالوا في جوابهم عن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ **الأنعام:** ٣٨، أنه يشمل جميع العلوم: وأن المراد بالكتاب في الآية: اللَّوح المحفوظ، ولم يذكر المفسرون في معناها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية (انظر: الطبري، ٧، ٢١٩، القرطبي، ٦: ٤٢٠، ابن كثير، ٢: ١٣٥).

الدليل الخامس: أن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف، واللهث وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، ثم يؤدي ذلك في الوقت القريب أو البعيد إلى صراع بين العلم والدين.

الدليل السادس: قالوا: أنه ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير (انظر: الزرقاني، ٢:٢٧٥، والعقاد، د. ت، ١٠، وشلتوت، د. ت، ١٣- ١٤).

الدليل السابع: «إن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين؛ لأن عملية التوفيق تفترض غالبًا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء» (الصالح، ٢٩٠).

الدليل الثامن: «إن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلًا غير مشروع» (الرومي، ٢٩٤).

الدليل التاسع: «إن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائمًا للتغيير والتبديل، والتعديل، والنقض، والإضافة بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب، ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية» (الرومي، ٢٩٤).

يقول الدكتور محمود شلتوت في تفسيره: وعلى هذا يمكن أن يقال: إن التفسير العلمي للقرآن مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت ولم تستقر ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية. ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن لغته العربية. ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً وتجعل القرآن تبعاً. ومرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر أو دلت عليه السنة الصحيحة (انظر: شلتوت، ١١: ١٤).

المطلب الثاني: موقف المجيزين للتفسير العلمي والإعجاز العلمي:

وممن اشتهر من المؤيدون للتفسير العلمي: الإمام الغزالي، الفخر الرازي، الزركشي، السيوطي، البيضاوي، نظام الدين النيسابوري، ومن المعاصرين الألوسي، وطنطاوي الجوهري، والإسكندراني، والكواكبي، ومحمد فريد وجدي، والرافعي، والقاسمي وغيرهم. ومن أدلتهم:

الدليل الأول: الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات: كقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨، وهذه العلوم داخلة في عموم الآية، وقوله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ ق: ٦، وقوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣، وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

الدليل الثاني: الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار؛ كما جاء في الحديث الصحيح أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الحُمُرِ، فَقَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٧ – ٨» (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢٣١٧)، وقالوا: هذا نص يشهد أن كل ما

دخل تحت نص قرآني عام يعتبر قد نص عليه القرآن (وجدي، د. ت، ٣٦٩). (الفاذة: المنفردة في معناها، والفذُّ: الْوَاحِدُ، (لسان العرب، ٣: ٥٠٢)، وفاذة: شَاذَّةٌ. الزبيدي، ٩: ٤٥٢)

الدليل الثالث: بعض الآثار الواردة عن السلف مثل قول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» (الطبراني، د. ت، ٩: ١٣٦). قَالَ شِمْرٌ: تَثْوِيرُ الْقُرْآنِ قِرَاءَتُهُ وَمُفَاتَشَةُ الْعُلَمَاءِ بِهِ فِي تَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ، وَقِيلَ: لِيُنَقِّرْ عَنْهُ وَيُفَكِّرْ فِي مَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ وَقِرَاءَتِهِ، (لسان العرب، ٤: ١١٠، وابن منظور، ١١٠:٤)

الدليلَ الرابع: أن القرآن هو حجة الله البالغة على عباده أجمعين، وهذه الحجة قائمة إلى يوم الدين، والإعجاز العلمي والتفسير العلمي في هذه الحجة يعجز الملحدون عن أن يجدوا فيه موضعاً للتشكيك لأنه دليل عقلي محسوس.

الدليل الخامس: وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزًا لما ملأ الله كتابه منها (انظر: الرازي، ١٤٢٠هـ، ٤ :١٢١).

الدليل السادس: قالوا: **إن** القرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات الكونية، ويتوقف على فهمها في ضوء الحقائق العلمية تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر، عصر العلم (انظر: خان، ٢٢٢).

الدليل السابع: «إن العلم الحديث قد يكون ضروريًّا لفهم بعض المعاني القرآنية، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهمًا دقيقًا متوقفًا على تقدم بعض العلوم، فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية» (الرومي، ٢٩٣).

الدليل الثامن: تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي، منها:

أ- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ج- امتلاء النفوس إيمانًا بعظمة الله جل جلاله وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن» (الرومي، ١٩٨٦م، ٢: ٦٠٢).

المطلب الثالث: التوفيق بين موقف المعارضين والمجيزين

بعد أن وقفنا فيما مضى على أقوال أهل العلم وموقفهم من التفسير العلمي للقرآن الكريم وبالتأمل في القولين السابقين؛ يتضح لنا أن المجيزين للتفسير العلمي والقائلين به من أهل العلم لا يريدون شيئاً إلا أن يثبتوا للعالم أجمع أن القرآن من عند الله، وأن منزله هو خالق الكون الذي وسع علمه كل شيء، وقد ضمنه هذه الحقائق العلمية، وأنهم بقدر ما يفعلون من ذلك يضيفون إلى أمجاد القرآن أمجاداً، وإلى براهين صدقه شيئاً جديداً.

أما المعارضين له فيقولون: إن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير، وهم لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير، وكفى القرآن شرفاً ومجداً أنه حث على العلم والبحث والنظر ولم يقف حجرة عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري (انظر: الزرقاني، ١: ٢٥، والعقاد، ١٩٦٢م).

وليعلم المسلمون أن كتاب الله غني في إثبات صدقه عن العلوم الطبيعية التجريبية، لما فيه من النور والهدى، والشرائع الكاملة، والفصاحة البالغة، وغيرها من أوجه الإعجاز التي عدها العلماء (انظر: الذهبي، ٢: ٤٩٣، والزرقاني، ٢: ٢٧٥ - ٢٧٦).

وليس باللازم أن كل حقيقة علمية أو كل معلومة علمية تجد لها في القرآن أصلاً؛ لأن القرآن لم يوضع لهذا. ومما يجب على كل مسلم أن يعتقده ويدين به؛ هو أن القرآن كلام الله والكون خلق الله، ولا يمكن أن يتعارض كلامه وخلقه، لذا يقول تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤. وبذلك يضمن المسلم سلامة دينه، ويقينه في كتاب ربه، ولا يحمل القرآن كل نظرية علمية حديثة ويقارنه بها.

ولذا فلابد من هذه القاعدة الأصلية الراسخة وهي أنه: لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة إلا إذا أخطا الناس في فهم الآية القرآنية أو جهلوا الحقيقة العلمية؛ لأنه لا تعارض بين القرآن والعلم مطلقاً. وكل ما يقال فيه أنه مخالف للحقائق العلمية فإنه لا يعدو أن يكون أحد الاحتمالات التالية:

١- إما أن يكون الذي نسب إلى العلم لم يصل إلى مرحلة العلم المقطوع به، كالنظريات التي لم تتأكد بعد، أو التي لا سبيل إلى إثباتها بأدلة علمية يقينية.

٢- وإما أن يكون النص غير صحيح.

٣- وإما أن يكون الفهم الذي فهم منه النص فهم خاطئ، أو حمل عباراته على اصطلاحات لفظية حادثة (انظر: العرجاوي، د. ت، ١: ٢٠).

أما أن يكون النص قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، ثم يخالف الحقيقة والواقع فهذا غير موجود حتماً، وليس من الممكن أن يوجد قطعاً.

ويستحسن في هذا المقام الاستشهاد بما جاء في كتاب عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بقوله: «على أننا نود أن ننبه هنا إلى أمرين على جانب كبير من الأهمية:

أولهما: أنه لن يكون هناك تعارض أو تناقض بأي حال، ولا من أي نوع بين أي نص قرآني صريح في دلالته، وبين أي حقيقة علميه بلغت يقين المعاينة، والمشاهدة، ضرورة أن خالق الكون سبحانه هو منزل القرآن الكريم، ولن يكون تناقض أبداً بين قول الله تعالى وبين خلقه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك: ١٤.

ثانيهما: أن القرآن الكريم في الأساس كتاب هداية، أنزله الله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩. ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ إبراهيم: ١ (جبريل، ٦٢).

تلك هي مهمة القرآن الأصلية، وقد وضحت سبل الهداية فيه: في عقائده وتشريعاته، وكانت مظاهر القدرة في الآيات الكونية فيه-كما بيننا-وسيلة من وسائل الاحتجاج للحق الذي جاء به.

المبحث الثالث: قواعد وأسس وضوابط التفسير العلمي والإعجاز العلمي

إن للتفسير العلمي شروطًا وقيودًا قررها العلماء ينبغي الالتزام بها فلا يكون تفسير القرآن مباحًا لكل من حصل علمًا من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر. وقد وضع المجيزون لهذا النوع من التفسير العلمي بعض الضوابط والحدود، - وإن كان بعضهم لم يلتزم بها-، منها:

المطلب الأول: شروط وقواعد أساسية

أول هذه الشروط ألا يفسّر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض والنظريات العلمية إلى مقام اليقينيات أو الفعل الواقع القائم، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه التغيير والتبديل (انظر: بوكاي، ١٩٧٧ م). وهذا ما أكده الدكتور: زغلول النجار بقوله: «عدم الاعتماد على النظريات والفروض العلمية في (الإعجاز العلمي) مع إمكانية تغليب أحد النظريات أو الفروض العلمية في (التفسير العلمي)،

والارتقاء بها موافقتها في حالة لوجه تحتمله آية قرآنية أو حديث شريف، وذلك في قضية لم يتم اكتشافها بعد (مجلة القافلة، ٧:٤٣، ١٩٩٤، والنجار، ٤). ونطالع في هذا الاتجاه تعليق الشيخ الزنداني لتوضيح هذا الشرط بقوله: إذا وقع تعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية، رفضت هذه النظرية، لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علماً، وأن هنالك نصوصاً من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هنالك حقائق علمية كونية قطعية، وهنالك نصوص من الوحي ظنية الدلالة، كما أن هنالك نظريات في العلم ظنية في ثبوتها. وأنه لا يمكن أن يقع تعارض بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإن وقع في الظاهر، فلا بد أن هنالك خللاً في ثبوت قطعية أحدهما. وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين حديث ظني في ثبوته أو آية ظنية في دلالتها فيؤول الظني ليتفق مع الحقيقة العلمية، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيقدم القطعي (الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً، الشيخ عبد المجيد الزنداني).

عدم الخوض في أمور غيبية غيبة مطلقة كالذات الإلهية، والروح، والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وقيام الساعة، والبعث والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليماً كاملاً، انطلاقاً من الإيمان الكامل بكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنة رسوله ﷺ يقيناً راسخاً بعجز الإنسان عن الوصول إلى مثل هذه الغيبيات المطلقة.

الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية الكريمة ـ مثل المعادلات الرياضية المعقدة، والرموز الكيميائية الدقيقة إلا في أضيق الحدود اللازمة لإثبات وجه الإعجاز أن يدل نص الكتاب أو السنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية، وألا يخالف أصلاً في الشرع، وأن لا يتذرع به لنصرة بدعة (انظر: ولد الشيخ، ٤٧١، الصوفي، ١: ٣٣).

البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن.

«أن لا تذكر التفسيرات العلمية على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني؛ ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان» (مسلم، ٢: ٥٨).

ألا تُجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضها رفض، وإلى هذا أشار الشيخ الزنداني بقوله: إن علم الله تعالى هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، ومعرض للخطأ، ويقبل الازدياد (الزنداني).

المطلب الثاني: أسس وضوابط عامة

أما أهم الأسس والضوابط العامة للتفسير العلمي فيمكن تلخيصها فيما يأتي:

الالتزام بحدود ما تعطيه الألفاظ القرآنية في استعمالاتها العربية، وعدم تحميل الألفاظ فوق ما يمكن أن تحتمل بحسب وضعها اللغوي، والاستعانة على التفسير بعلوم النحو، والصرف، والبلاغة، وغيرها مما يدخل في علوم العربية وعلوم القرآن الكريم. فإذا لم أفهم من اللغة ما معنى نطفة، أو مضغة، أو علقة، أو عظام، أو كسوة العظام لحماً، فلن أفهم ما هي دلالات الآية، فاللغة شرط أساسي لفهم دلالات الآيات.

جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية إن وجدت، ولابد عند تفسيرها من فهم التفسير المأثور عن المصطفى ﷺ والرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى الزمن الحاضر، بالإضافة إلى جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد وردِّ بعضها إلى بعض.

ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.

أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية (انظر في ذلك: ابن القيم، ١/١٦٨. الوعلان، ١٣٦. الرومي، ٢٩٧). ولد الشيخ، ١٠٢).

هذه بعض الأسس والضوابط، والتي بمراعاتها ينضبط البحث في هذا المجال، ويسلك فيه سبيل القصد دون قصور أو شطط، وإذا لم تراع هذه الضوابط فقد يقع الإنسان في التكليف والقول على الله تعالى بغير علم وهو مما حرمه الله سبحانه، فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣.

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد المبعوث بالهدى والبيّنات، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد.

فالذي أدركه الباحث من خلال دراسته لقضايا التفسير العلمي للقرآن الكريم؛ أنّ مثل هذا النوع من الدراسات مما يُحتاج فيه إلى جهود كبيرة تعمل بصفة مشتركة ومقسّمة بين جمع من الباحثين ممن لديهم القدرة على دراسة مسائل منثورة لا يجمعها موضع واحد، وهو من العلوم المشتركة والمتعلّقة بسائر الفنون على اختلافها، وتنوّع اختصاصاتها، وقد واجه الباحث بسبب ذلك بعض الصعوبات التي لم تكن لتذلَّل لولا فضل الله U، وقد توصلت من خلال دراسة قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

يعد التفسير العلمي أحد فروع أو ألوان التفسير المعاصر. ويراد به: الاستناد إلى حقائق العلم التجريبي ونظرياته.

الإعجاز العلمي يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين.

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي: إن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ.

الحقيقة المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا أن الاختلاف بين المجيزين والمانعين للتفسير العلمي والإعجاز العلمي واقع في أمر التفسير العلمي للقرآن وليس الإعجاز العلمي، فالأول هو مثار البحث والمناقشة؛ وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها.

من أهم ضوابط التفسير العلمي أن لا يفسّر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض والنظريات العلمية إلى مقام اليقينيات أو الفعل الواقع القائم.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

المراجع:

Al-Arjawi, Abd al-Majid. *Al-Barahin al-'Ilmiyyah 'ala Shihhah al-'Aqidah al-Islamiyyah*. t 1. Damascus: Dar Wahyu al-Qalam.

Al-Aqqad, Abbas Mahmud. *Al-Falsafah al-Qur'aniyyah*. Cairo: Dar Nahdhah Mishr.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Abu Abdillah, al-Ju'fi. Tahqiq: Muhammad Zuhair bin Nashir an-Nashir. 2002. *Al-Jami' al-Musnad ash-Shahih al-Mukhtashar (Shahih al-Bukhari)*. t 1. Beirut Libanon: Dar Thauq an-Najah.

Bin Nabi, Malik. d.t. *Adh-Dhahirah al-Qur'aniyyah*. Beirut Libanon: Dar al-Fikr al-Mu'ashir.

Al-Buthi, Muhammad Said Ramadhan. d.t. *Min Rawai'i al-Quran, Ta'amulat 'Ilmiyyah wa Adabiyyah fi Kitab Allah Azza wa Jalla*. Damascus: Makatabah al-Farabi.

Bukai, Muris. 1977. *Dirasah al-Kutub al-Muqaddasah fi Dhau' al-Ma'arif al-Haditsah.* Cairo: Dar al-Ma'arif.

Adz-Dzahabi, Muhammad as-Sayyid Husain. *At-Tafsir wa al-Mufassirun*. Cairo: Maktabah Wahbah.

Al-Farahidi, Abu Abdirrahman, al-Khalil bin Ahmad bin Amr al-Bashri. Tahqiq: Mahdi al-Makhzumi, wa Ibrahim as-Samirai. *Al-'Ain*. Beirut Libanon: Dar wa Maktabah al-Hilal.

Al-Fairuz Abadi, Mujid ad-Din, Muhammad Ya'qub. Tahqiq: Muhammad Naim al-Urqususu. 2005. *Al-Qamus al-Muhith*. t 8. Beirut Libanon: Muassasah ar-Risalah.

Al-Fayyumi, Ahmad bin Muhammad bin Ali, Abu al-Abbas. *Al-Misbah al-Munir fi Gharib asy-Syarh al-Kabir*. Beirut Libanon: Al-Maktabah al-Ilmiyyah.

Ibn Faris, Ahmad bin Faris, al-Qazwini, ar-Razi. Tahqiq: Abd as-Salam Harun. 1999. *Mu'jam Maqayis al-Lughah*. t 3. Beirut Libanon: Dar al-Jail.

Ibn Katsir, Isma'il bin Umar, Abu al-Fida'. Tahqiq: Sami bin Muhammad Salamah. 1999. *Tafsir al-Qur'an al-Karim (Tafsir Ibn Katsir)*. t 2. Riyad: Dar Thayyibah lin-Nasyr wa at-Tawzi'.

Ibnu Mandhur, Muhammad bin Mukarram bin Ali, Abu al-Fadhl, Jamaluddin al-Anshari. 1994. *Lisan al-'Arab*. t 2. Beirut Libanon: Dar Shadir.

Jibril, Muhammad as-Sayyid. d.t. *'Inayah al-Muslimin bi Ibraz Wujuh al-I'jaz fi al-Qur'an al-Karim*. al-Madinah al-Munawwarah: Majma' al-Malik Fahd li Thiba'ah al-Mushaf asy-Syarif.

Al-Jurjani, Ali bin Muhammad bin Ali az-Zain asy-Syarif. 1983. *At-Ta'rifat*. t 1. Beirut Libanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Majallah al-Ilmiyyun. Juni. 1997.

Muslim bin al-Hajjaj, Abu al-Hasan al-Qusyairi, an-Nisaiburi. Tahqiq: Muhammad Fuad Abd al-Baqi. d.t. *Al-Musnad ash-Shahih al-Mukhtashar (Shahih Muslim)*. Beirut Libanon: Dar Ihya' at-Turats al-'Arabi.

Muslim, Mushthafa. 1995. Nadharat fi Madarasah at-Tafsir al-Haditsah. Hai'ah al-I'jaz al-Ilmi fi al-Qur'an wa as-Sunnah. *Majallah Kulliyah Ushul ad-Din*. Vol. 2.

Al-Mu'jizah fi al-Qur'an wa as-Sunnah. Taushiyyat al-Mu'tamar al-'Alami al-Awwal li al-I'jaz al-'Ilmi fi al-Qur'an wa as-Sunnah. Abhats al-Mu'tamar al-'Ilmi al-Awwal li al-I'jaz al-'Ilmi fi al-Qur'an wa as-Sunnah. *Rabithah al-Alam al-Islami. Haiah al-Ijaz al-Ilmi fi al-Qur'an wa as-Sunnah*. 17, 18-33.

An-Najjar, Zaghlul. 1994. *Min Ayat al-I'jaz al-'Ilmi fi al-Qur'an*. Majallah al-Qafilah. Vol. 7. Jilid 43.

Al-Qaththan, Manna' bin Khalil. 2000. *Mabahits fi 'Ulum al-Qur'an*. t 3. Beirut Libanon: Maktabah al-Ma'arif.

Al-Qurthubi, Abu Abdillah, Muhammad bin AHmad bin Abi Bakar, al-Khazraji. Tahqiq: Ahmad Al-Barduni wa Ibrahim Athfaisy. 1964. *Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an (Tafsir al-Qurthubi)*. t 2. Cairo: Dar al-Kutub al-Mishriyyah.

Ar-Razi, Abu Abdillah, Muhammad bin Umar bin al-Husain at-Taimi, Fakhruddin. 2000. *Mafatih al-Ghaib (at-Tafsir al-Kabir)*. t 2. Beirut Libanon: Dar Ihya at-Turats al-Arabi.

Ar-Rumi, Fahd bin Abdurrahman bin Sulaiman. 2003. *Dirasat fi 'Ulum al-Qur'an*. t 12. Riyadh: Mathba'ah Mamlakah Fahd.

Syaltut, Mahmud. d.t. *Tafsir al-Qur'an*. Cairo: Dar asy-Syuruq.

Ash-Shalih, Shubhi. 1982. *Ma'alim asy-Syari'ah*. t 4. Beirut Libanon: Dar al-'Ilm li Al-Malayin.

Ath-Thabrani, Sulaiman bin Ahmad bin Ayyub bin Muthir al-Lukhami asy-Syami, Abu al-Qasim. Tahqiq: Hamdi bin Abd al-Majid as-Salafi. *Al-Mu'jam al-Kabir*. Cairo: Maktabah Ibn at-Taimiyyah.

Ath-Thabari, Muhammad bin Yazid bin Katsir bin Ghalib, Abu Ja'far, Ibnu Jarir. Tahqiq: Ahmad Muhammad Syakir. 2000. *Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ayyi al-Qur'an*. t 1. Cairo: Mu'assasah ar-Risalah.

Ath-Thayyar, Musaid bin Sulaiman. 2011. *Al-I'jaz al-'Ilm Ila Aina*. t 2. Cairo: Dar Ibn al-Jauzi.

Umar, Ahmad Muhtar, Abd al-Hamid, bimusaadati fariq amal. 2008. *Mujam Lughah al-Arabiyyah al-Muashirah*. t 1. Beirut Libanon: Alam al-Kutub.

Az-Zarkasyi, Badruddin, Muhammad bin Abdillah. Tahqiq: Muhammad Abu al-Fadhl Ibrahim. 1957. *Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an*. t 1. Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah.

Wajdi, Muhammad Farid. d.t. *Al-Islam fi 'Ashr al-'Ilm*. t 3. Beirut Libanon: Al-Kitab al-Lubnani.

Al-Wa'lan, Abd. al-Majid bin Muhammad. Israf: Abd. al-Karim bin Muhammad al-Humaidi. *Al-Ayat al-Kauniyyah, Dirasat 'Aqadiyyah.* Muqadamah li nail darajah al-Majistir, qism al-'Aqidah wa al-Madzahib al-Mu'ashirah. Riyadh: Kulliyyah Ushuluddin, Jami'ah al-Imam Muhammad bin Sa'ud al-Islamiyyah.

Walad ay-Syekh, Muhammad al-Amin. *At-Tafsir al-'Ilmi li al-Qur'an al-Karim baina al-Mujizin wa al-Mani'in, dhimna kutaib tashil al-I'jaz al-'Ilmi fi al-Qur'an wa as-Sunnah*. Rabithah al-'Alam al-Islami. Hai'ah al-I'jaz al-'Ilmi fi al-Qur'an wa as-Sunnah.